

يوم الخميس في ٢٢ شوال سنة ١٣٠١ و ١٤ اغسطس سنة ١٨٨٤

باريس

نشرت الدعوات وطلبت الدول العظام لعقد مؤتمر في لوندرا بعد مفاوضات طويلة بين حكومتي فرنسا وانكلترا . ماذا كان المؤتمر وماذا نوت الحكومة الانكليزية بالدعوة اليه وماذا كانت تقصد الدول من وجود نوابها فيه واية غاية كان يطلبها خريت السياسة البرنس بسمارك . انعقد المؤتمر ثم صر عقياً وبقيت تلك المقاصد مكنونة في صدور اربابها . كانت حكومة انكلترا تطمح للاستيلاء على مصر باسم امير مصري وحالت دون مطمحها المصاعب ازماناً حتى سنحت لها الفرصة المشومة بتشيويه وجه الحركة العراية فتيسر لها بتلك الحركة ارضاء الدول واستئذان الدولة العثمانية بالتدخل في توقيفها فسهل لها دخول مصر على نية ان لا تخرج . وهل يمج الظمان بارد الزلال من فيه . ظنت انها ملكت ارض مصر ووجدت عليها ديناً ثقيلاً فرغبت تخفيفه لانها ترى ما ينفق من خزانه مصر انما ينقص من خزائن انكلترا ولم تقصد بتخفيفه رحمة الفلاحين ولم يعثها عليه الشفقة على المصريين وعميت بصيرة من ظن بحكومة انكلترا قصد الرحمة في هذا او في غيره من الاعمال .

تحمل الى سواكن وتصدر الى اوربا ولا يراها مصري . فاذا تولى
الانكليز مصر (لا قدر الله) حرموا الوطنيين من الاشتراك معهم في
تجارة السودان « وهي من اغزر ينابيع ثروتهم التجارية » واذا الجأتهم
الحوادث للبلاء عنها فقد اختصوا بمادة المنفعة التي يمكن ان تأتي من
اقطار السودان وبذلك تقوض كثير من بيوت التجارة في الاقطار
المصرية ويعدم بخرابها الاف مؤلفة من النفوس فليس حقيقة الغرض من
مد سكة الحديد من سواكن الى بربر الا التوصل الى ينبوع متدفق من ينابيع
الثروة المصرية وتحويل مجراه عن مصر الى جزائر بريطانيا وسنأتي على
تفاصيل الخسائر التي تلم باها الى مصر من مد هذه السكة في عدد اخر
هذه احدي خيطات الانكليز الذين بعد استيلائهم على الهند حظروا على
الاهالي في جميع ممالكهم ان يعالجوا زراعة الاصناف التجارية كالنيلة
ونحوها واختصت الحكومة الانكليزية بزراعتها وزادوا في المظلمة
فحكموا على جميع الحكومات المستقلة التي ينولها النوابون والرجوات
ان لا تزرع الافيون بحجة ان الحكومة الهنديه الانكليزية تزرعه فلا
يجوز لغيرها العمل في زراعته كيلا تقل الفائدة او ثلا يستفيد شيئاً مما
تستفيد . هذه اثار جورها يشبها خراب البيوت القديمة وفاقة العائلات
الشريفة في كل بلد لما فيه امر ونهي ولا تزال ترد شرعتها هذه في
كل قطر تطاؤه ارجل رجالها قرياً كان او بعيداً فعلى البصير ان
ينظر وعلى اللبيب ان يحذر .

قصدت نعمة الامر على الدول لتنال منهم تصديقاً على اعمالها
فيتسع لها المجال فيما بعد وبدأت باستمالة فرنسا وعقدت معها اتفاقاً
يوطن نفوس السياسيين على الرضاء بما تريد ثم انشا السير بارنج لائحة
للمالية اثبت فيها عجز مصر عن اداء ديونها . الا ان رجال الدول كانوا
احذق من ان ينخدعوا لعلمهم ان وادي النيل احوج الى العدالة
وحسن الادارة من تخفيف الدين . لم يخف على السياسيين ان مصر لو
سلمت ادارتها لحاكم نافذ الكلمة قوي الغزيمة واسع الخبرة باحوال
البلاد لو سعت قدرتها اداء ما عليها بل وما يزيد عليه . وان كان
يثقل على دولة تجاريه . قررت في الاتفاق الفرنسي ايطالية مدة
حلولها العسكري الى ثلاث سنوات ونصف ثم تخرج على شرط اتفاق
جميع الدول على خروجها فعلقه بما يشبه الحال لتسهيل عليها المراوبة
ولكن لم يذهب على رجال السياسة في سائر الدول ان بقاء انكلترا في
مصر لا يزيد عليها الا خراباً .

لما انعقد المؤتمر كشف موسيو دبلنير الفرنسي ما في لائحة
بارنج من الاغلاط فشرعت انكلترا في تهديد فرنسا بالليل الى المانيا .
الا ان السفير الالماني وهو تلميذ البرنس بسمارك ولا يعمل الا باشارته
كان اميل الى فرنسا فان سياسة البرنس مبنيه على التفریق بين فرنسا
وانكلترا (وقد حصل) فحصل الياس لحكومة انكلترا من تخفيف النفقة
عن الملك التي زعمت انها ملكته فخلت المؤتمر وانحل بطبعه .

وصارت الدول الأوروبية في جهة وانكلترا وحدها في جهة أخرى . ولم يكن من رأي الدول ان يقعوا آلة بيد انكلترا تستعملهم في قضاء اوطارها فطاشت جرائد الانكليز غضباً على المانيا واخذت تذكرها بان استيلاءها على الانزاس واللورين انما كان بمساعدة انكلترا المعنوية وهاجت جرائد النمساوية والالمانية وصالت بالطعن والتجريح في السياسة الانكليزية وانفقت حكومة المانيا والنمسا على الزام انكلترا بتحديد اجل لدفع الخسائر التي نشأت عن ضرب اسكندرية .

الحكومة الانكليزية في رجفة شديدة وخيفة من سوء العاقبة الا انها على عادتها تظهر الاقدام وتنطق بالحماس وتوهم انها غنية عن العالمين . عمدت الى الاستقلال بتدوين مصر وتقرير سلطتها فيها واتحاد فتنة السودان وظنت انها قادرة على كل ذلك فجهزت القواد وعينت اللورد نور ثبروك اعدى اعداء المسلمين ومخرب بيوت الشرقيين ليتولى الحمل لدولته في القطر المصري . ولكن هيهات هيهات . نترك الان بيان ما يترتب على انفراد الانكليز عن سائر الدول في امر مصر الى عدد اخر ونقدم كشفاً لجوهر حالهم العامة .

اولاً ان الانكليز على عادتهم المألوفة اذا قصدوا الاستيلاء على قطر لا يصرحون بقصدهم حتى يتمكنوا فيه ولا يبقى لهم منازع لا في الداخل ولا في الخارج فلو فرضنا ان المصريين والدول اجمعين اتفقوا الان وطلبوا من انكلترا ان تملن بتملكها مصر لامتنت الحكومة

الانكليزية وظهرت العفة والقناعة وظهر المستر غلادستون في دلو
الزهد ولصاح رجال الانكليز من جميع الاحزاب نستغفر الله لا نريد
سوى اصلاح البلاد وتوفير خيراتها وتحت هذا الحجاب يتصرفون
تصرف الملاك يختصون بالوظائف العالية ويديرون حكومة البلاد على
رغبتهم وينقلون ثروتها الى جزيرتهم ويميزونها قطعاً يهبون منها مالا يهتمهم
لاعداء البلاد ليعينوهم على تذليلها واستعبادها.

وثانياً ان حكومة الانكليز من اضعف الحكومات في القوة
العسكرية البرية واحد سلاحها التهديد واكبر قوتها التهويل ووضع
الامور الصغيرة تحت النظارات المعظمة لترهب بذلك كل جاهل
وتخيف كل غبي . لهذا لا تتمكن بدسائسها في قطر الا عند سكون اهاليه
فاذا نبذ الاهالي طاعتها وعارضوها في اعمالها سترت ضعفها بترك البلاد
لاهلها . فان مقاومة الاهالي اشد باضعاف مضاعفة من القوى العسكرية
المجتمعة في اما كن مخصوصة تحت قيادة روساء معينين تنهزم بانهمزامهم
وما جرى لحكومة انكلترا مع الافغانيين اعظم شاهد على ما تقول
دخلت الحكومة الانكليزية ارض الافغان بستين الف عسكري
واستوات على المدن وكاد قدمها يرسخ في البلاد فلما قام الاهالي من
كل صقع والتحمت المقاتل في جميع انحاء افغانستان عجز الستون الفاً
عن الوقوف موقف الدفاع واضطرت حكومة انكلترا بعد تسلطها
سنتين وبعد صرف ثلاثين مليون جنيه استرليني ان تطلب الامير

عبد الرحمن خان من مضيف الروسية بعد ما اقام عند الروسيين اثنتي عشرة سنة معززاً مكرماً وان تقدم له اربعة ملايين من الجنيهات لينفقها في ادارة بلاده وترك له البلاد وولت . حكومة الانكليز انما تخضع للضرورة وللضرورة احكام * فعلى قبائل العرب في مصر ومشائخها ان يتذكروا شهامتهم العريضة وحميتهم الدينية ويقتدوا بالافغانيين لينقذوا بلادهم من ايدي اعدائهم الاجانب الذين لو تمكّنوا في البلاد لحقّوهم واذلّوهم وليس من الفتنة ان ندعوهم الى طلب الحقوق والدفاع عن الدين والوطن كما يظن بعض المتطفلين على موائد السياسة فانما ننادي على صاحب البيت ان يدافع عن حريمه وماله وشرفه وان يخرج مخالف عدوه من احشائه وهي سنة جرى عليها دعاة الحق في كل امة . وتاريخ اوربا القديم والحديث وتواريخ الامم الشرقية اولها وآخرها تنطق بصدق ما نقول * وعلى المصريين عموماً والفلاحين خصوصاً ان يجمعوا امرهم على ان يمنعوا الحكومة كل ما تطلب منهم وان يرفعوا اصواتهم بنداء واحد قائمين لا نطيع الا حاكماً وطنياً مسلماً نافذ الكلمة حازم الرأي قادراً على ادارة البلاد بقوة وطنية وليستصرخوا في ذلك جميع الدول ويبرهنوا على قدرتهم ويقمعوا الادلة على ان مصلحة الدائنين لا يمكن حفظها الا باجابة طلبهم فان فعلوا هذا وجدوا لهم من الدول انصاراً بل ومن الجنس الانكليزي نفسه .

على الدولة العثمانية ان تتذكر انه لولا فرمانها بعصيان عرابي لما

سهل للانكليز ان يدخلوا ارض مصر ولا اصابوا هذه الغنيمة باردة
فلتنظر الى قوتها ونفوذها وتلاحظ ان الحل على من عقد والعقد على من حل
ولا تنس ان مصر حبكة الممالك العثمانية كما بيناه مراراً ولا تغفل عن النمسا
وشربها والروسيا وطمعها وفرنسا وآمالها . فمن الامور الطبيعية ان
المنافسة او الموازنة تدعو الاقران الى التسابق في الاطماع . واذا فرط
متساهل في اهل ملته فان يجد منهم فيما بعد عوناً . لو تحرك العثمانيون
لأوا عوناً من جميع المسلمين خصوصاً وقد حصلت كدورة بين اماره
الافغان وحكومة الانكليز بل نكرر ما قلنا مراراً من ان نفوذ العثمانيين
في الهند يمنع الانكليز من الجهر بعداوتهم البته فهذه فرصة الاقدام فان ولت
الفرصة فربما يصعب التلافي ولا يبقى الا الندم حيث لا ينفع الندم
وفق الله الدولة العثمانية الى ما فيه خيرها وخير المسلمين وبصرها
بالرشد وكفها شرور المفسدين .

تنبیه

طلب الينا احد الاعاظم من ذوي الحل والعقد في المسلمين ان ننشر
الجملة الآتية بنصها فهي :

﴿ وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزي الله وبشر الذين ﴾

﴿ كفروا بعذاب اليم ﴾

ملعون من يخون بلاده لمرض في قلبه ملعون من يبيع اهل ملته بحطام يلتذ

به ملعون من يمكن الاجانب من دياره محروم من شرف الملة الخفيفة من معظم الصغير وبصغر العظيم ويمهد الطرق لخفض كلمته واعلاء كلمة الاغراب ملعون من يختلج في صدره ان يلحق عاراً بامته ليتعم نافساً من لذته عجياً عجياً . لا حول ولا قوة الا بالله . هل صحيح ان خمسة ملايين سابقة وخمسة ملايين لاحقة تمكن الاجانب من مصر وهي مفتاح الحجاز وباب الاقطار الشامية . هيهات هيهات . ايظن مريض القلب ان يترك حتى يأتي هذا المنكر ايظن انه يعيش حتى يتمتع بما تكسب يده ابتوهم انه يبقى حياً على وجه الارض وفيها مسلم لا اظن ان يكون له حظ من البقاء ولو كان في ابراج من الفولاذ اه

وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون

ان الامة التي ليس لها في شئونها حل ولا عقد ولا تستشار في مصالحها ولا اثر لارادتها في منافعها العمومية وانما هي خاضعة لحاكم واحد ارادته قانون ومشيئته نظام . يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد فتلك امة لا تثبت على حال واحد ولا ينضبط لها سير فتعتورها السعادة والشقاء ويتداولها العلم والجهل ويتبادل عليها الغنى والفقر ويتناوبها العز والنذل وكل ما يعرض عليها من هذه الاحوال خيرها وشرها فهو تابع لحال الحاكم . فان كان حاكمها عالماً حازماً اصيل الراي علي المهمة رفيع المقصد قوي الطبع ساس الامة بسياسة العدل ورفع فيها منار العلم

ومهد لها طرق اليسار والثروة وفتح لها ابواباً للتفنن في الصنائع واحذق في جميع لوازم الحياة وبعث في افراد الحكوميين روح الشرف والنخوة وحملهم على التحلي بالمزايا الشريفة من الشجاعة والشهامة واباء الضيم والانفة من الذل ورفعهم الى مكانة عليا من العزة ووطأ لهم سبل الراحة والرفاهة وتقدم بهم الى كل وجه من وجوه الخير وان كان حاكمها جاهلاً دنيء الطبع سافل المهمة شرهاً مغتلباً جبناً ضعيف الراي احمق الجنان خسيس النفس معوج الطبيعة اسقط الامة بتصرفه الى مهاوي الخسرات وضرب على نواظرها غشاوات الجهل وجلب عليها غائلة الفاقة والفقر وجار في سلطته عن جادة العدل وفتح ابواباً للعدوان فیتغلب القوي على حقوق الضعيف ويختل النظام وتفسد الاخلاق وتخفض الكلمة ويغلب الناس فتمتد اليها انظار الطامعين وتضرب الدول الفاتحة بمخالبها في احشاء الامة .

عند ذلك ان كان في الامة رمق من الحياة وبقيت فيها بقية منها واراد الله بها خيراً اجتمع اهل الراي وارباب المهمة من افرادها وتعاونوا على اجتثاث هذه الشجرة الحبيثة واستئصال جذورها قبل ان تنثر الرياح بزورها واجزاءها السامة الفاتلة بين جميع الامة فتميتها وينقطع الامل من العلاج . وبادروا الى قطع هذا العضو المجدم قبل ان يسري فسادُه الى جميع البدن فيزقه وغرسوا لهم شجرة طيبة اصلاها ثابت وفرعها في السماء وجدودوا لهم بنية صحيحة سالمة من الافات

« استبدلو الخيث بالطيب » وان انحطت الامة عن هذه الدرجة وتركت
شؤونها بيد الحاكم الابله الغاشم يصرفها كيف يشاء فانذرهابمضض العبودية
وعناء الذلة ووصمة العار بين الامم جزاء على ما فرطوا في امورهم وما
ربك بظلام للعبيد

توفيق باشا

يتوكان الانكليز على توفيق باشا في حركتهم بمصر ويتخذونه آلة لتخريب
بلادهم وهدم ملكه وما يكون من شر ينسبونه اليه وما عساه يوجد من خير يصلون
نسبته بهم ويردونه الى انفسهم وفيما بين ذلك يبغضون اليه الولاية الاسلامية
ويحبون اليه اغفال الاصول الدينية وهو يميل معهم ويمدحهم في مقاصدهم ويطوع
البلاد لهم بما بقي له من السلطنة الصورية كما يتظاهر بالتدين والمحافظة على الصلوات
فان كان باطنه يطابق ظاهره وكان معتقدا بدين الاسلام فعليه ان يتنحى عن
الامر ويترك الملك لمن يستطيع انفاذه مما هو فيه فتبرأ ذمته من العار الذي يلحقه
ويلحق بيت محمد على من تصرفه فان لم يكن هذا فعليه ان يجهر بعقيدته ويقاوم
الانكليز بما في جهده ويموت شهيداً في سبيل دينه ووطنه والا فليس بمعنى عنه
من الله شيئاً ان يظهر عند اهل خاصته وحاشيته انه ناقد على الانكليز كاره لوجودهم
في بلاد مصر ويود لو يخرجون كما انبأنا به الاخبار الخصوصية من القطر المصري
اذا تمادى توفيق باشا في سيره الملتوي فعلى المصريين ان لا يقعوا صيدا في
يد الانكليز بهذه الحباله البالية وهذا الفخ الواهن ولينظروا في شونهم وما توجه
عليهم فروض دينهم والا فاما الله بغافل عنهم

هؤلاء رجال الانكليز وهذه افكارهم

تأخر صدور الجر يدة اياما للضرورة ما مسنا من ضعف في المزاج مع مصادفة رداءة الهواء في البلاد الفرنسية هذه الايام . والحمد لله على زوال المانع . الا اننا مع ذلك لم نقصر في اداء الواجب من العمل الذي قننا به في المدافعة عن حقوق المسلمين فقد خلقنا والشكر لله لهذا العمل وطبعنا عليه ونرجو ديان السموات والارض ان نموت في هذه السبيل وان نبعث في زمرة السالكين فيها .

رأينا ان يذهب الشيخ محمد عبده (المحرر الاول لهذه الجر يدة) الى لوندرا اجابة لدعوة من يرجى منهم الخير المتنا ومن يؤمل فيهم صدق النية في رعاية مصالح المسلمين من رجال السياسة الانكليزية . وليستكشف مناصب الفخاخ السياسية التي ما مرت قدم شرقي الا سقطت منها فيما يعسر الخلاص منه وليسبر اغوار المطامع الانكليزية التي لا يدرك منتهائها . تلك المطامع التي بعد ما التهمت ثلث المسكونة وطوقت كرة الارض بالفتح والاستملاك لم تزل في مد لا جزر معه ولا يزال رجال حكومة بريطانيا في قرم شديد لابتلاع ممالك للعالم وكلما اساغوا قطراً طلبوا اليه اخر . وليستطلع خفايا المقاصد من اثناء الافكار وغضون الاقوال وليقف على الطرق المألوفة بين اولئك

السياسيين في التلوين ويتبين كيف يتمكنون من ابراز محاسن الاعمال في صفات رديئة يستنكرها كل ناظر اليها واطهار السيئات في الوان بهجة تسر الناظرين حتى يمكن بعد ذلك وضع ميزان قسط يتميز به الزيف من النضار الخالص كيلا يغتر الجاهل ولا يزل العالم .

لاقى (محرر الجريدة) كثيراً من رجال السياسة الانكليزية واتفق الناس رأياً فيها وقد جرت بينه وبينهم محادثات طويلة في الاحوال المصرية ومن محادثاته الابتدائية ما نشر في بعض الجرائد الانكليزية كجريدة البال مال كازيت وجريدة التروث التي يحررها النائب الشهير مستر لا بوشير وجريدة التيمس وسيدكرشيء مما جرى بينه وبين بعض الاكابر من رجال الحكومة مما يستفيد منه الشرقيون عموماً والمصريون خصوصاً وستأتي جريدتنا على بعض ما استنبطه من فحوى اقوالهم وأدركه من مرامي افكارهم . اما الان فناقي على جملة واحدة من محادثة طويلة كانت بينه وبين اللورد (هرتكتون) وزير الحرية الانكليزية لياخذ كل مصري منها حظه ويصيب كل شرقي سهمه ويقف جميعهم على مواقع الشرقيين من انظار الحكومة الانكليزية

سال اللورد هرتكتون وزير الحرية الانكليزية . الا يرضى المصريون ان يكونوا في امن وراحة تحت سلطة الحكومة الانكليزية والا يرون حكومتنا خيراً لهم من حكومة الاتراك وفلان باشا وفلان باشا . فاجاب الشيخ (محرر جريدتنا) كلا ان المصريين قوم عرب

وكلهم مسلمون الا قليلاً وفيهم من محبي اوطانهم مثل ما في الشعب الانكليزي فلا يخطر ببال احد منهم الميل الى الخضوع لسلطة من يخالفه في الدين والجنس ولا يصح لحضرة اللورد وهو على علم بطبائع الامم ان يتصور هذا الميل في المصريين . فقال الوزير هل تنكران الجمالة عامة في اقطار مصر وان الكافة لا تفرق بين الحاكم الاجنبي والحاكم الوطني وان ما ذكرته من النفرة من سلطة الاجانب انما يكون في الامم المهدبة * فاحتد الشيخ حدة تليق بمسلم لا يتهاون في اداء ما فرضه الدين واوجبه حقوق الملية وقال * اولاً ان النفرة من ولاية الاجنبي وبند الطبع لسلطته ما اودع في فطرة البشر وليس بمحتاج للدرس والمطالعة وهو شعور انساني ظهرت قوته في اشد الامم توحشاً كالزولوس الذين لم تنسوا ما كابدموه منهم في الدفاع عن اوطانهم * وثانياً ان المسلمين مهما كانوا وعلى اي درجة وجدوا لا يصلون من الجهل الى الدرجة التي يتصورها الوزير فان الاميين منهم ومن لا يقرأون ولا يكتبون لا يفوتهم العلم بضرويات الدين ومن اجلها واطرها عندهم ان لا يدينوا المخالفين فيه وان لهم في الخطب الجمعية ومواعظ الوعاظ في مساجدهم ما يقوم مقام العلوم الابتدائية وان جميع ما يتلقونه من النصائح الدينية يحذرهم من الخضوع لمن لا يوافقهم ويحدث فيهم من الاحساسات الشريفة الانسانية ما لا ينحطون معه عن سائر الامم خصوصاً المصريين الذين ينطقون باللسان العربي ويفهمون دقائق ما اودع في

ذلك اللسان وهو لسان دينهم* وثالثاً ان ارض مصر من زمن محمد علي قد انتشرت فيها العلوم والاداب الجديدة على نحو ما هو موجود في بلاد اوربا واخذ كل مصري نصيباً منها على قدره ولا تخلو قرية من القرى الصغيرة من ان يكون فيها قارئون كاتبون والاخبار العمومية توصلها اليهم الجرائد العربية ومن لم يقرأ يستنبي الاخبار من القارئين فهذا اضافوا الى الشعور الطبيعي والتقليد الديني محبة وطنية منشاؤها التهذيب العمومي قوى بها الميلان الاولان ولا اظنهم يخالفون في ذلك سائر الامم . اهـ

اين العلماء الاذكياء اين الجهلة الاغبياء اين الاباة الاعلياء اين السفلة الادنياء ليري كل واحد منهم منزلة الشرقيين عند رجال الحكومة الانكليزية كل ذي شكل انساني وصورة بشرية يدرك ما وراء هذه الاسئلة وما تشف عنه هذه الظنون العجيبة . هذا اللورد هرتكتون وزير الحرية الانكليزية يظن ان الجهل بلغ من المسلمين عموماً والمصريين خصوصاً الى حد سلب عنهم كل احساس انساني وانهم في حضيض من الجهل لا يميزون فيه بين الغريب والقريب ولا بين العدو والحبيب هذا دليل على ان الانكليز (الا من اثار الله بصيرته ووفقه لفهم الصواب) يعتقدون ان الامم الشرقية والامة المصرية في درجة الحيوانات السائمة والدواب الراعيه لا تألم الا من الجوع وفواعل الطبيعة المادية وليس لها من الاحساس النوع من الانفعالات البدنية ولا تعرف من شؤنها الا ما به تقوم حياتها الحيوانية فتالف راكبها والعامل عليها ومستخدمها

في اى عمل من الاعمال الشاقة مادام يقدم لها طعاما وشرابا وانها تهش
وتبش لرؤية من يقدم لها غذاءها وعشاءها وان كان من اشد البلاء
عليها بما يسومها من مشاق الاعمال فاذا عجزت عن العمل ذبحها وتغذى
بلمومها * الا فاعجبوا * ان كانت هذه عقيدة رجال الحكومة الانكليزية
في الامم التي يتسلطون عليها فاي معاملة تكون منهم لها الا يعاملونهم
معاملة العجموات والحيوانات الرتع بلى وهكذا يعاملون وهذا تصرفهم في
البلاد الهندية يشهد بافصح لسان على ما يعملون .

فالمصريون الان بين امرين افضلهما ايسرهما اما ان يتناكفوا
ويتضافروا ويذلوا اموالهم وارواحهم في حفظ شرفهم الانساني ومكانتهم
العربية واداء حق عقيدتهم الدينية ويخلصوا انفسهم من عبودية قوم
لا ينظرون اليهم الا كما ينظرون الى البغال والحمار وان هموا بذلك
وجدوا لهم من اخوانهم المسلمين انصارا ينتظرون الان حركة منهم وهذا
اشرف الامرين وما هو عليهم بعسير * واما ان ينسلخوا عن جميع
الخصائص الانسانية ويخلعوا حلية الايمان ويتبرأ منهم شرف العرب
وليجملوا ناف العبودية على اعناقهم وليقاسموا الحيوانات في حظوظها
وليستعدوا اكل ذلة وليقبلوا كل ضيم وهذا اعسر الامرين وادناهما
وما اظن مصريا يختاره لنفسه ولئن اختاره « معاذ الله » فسيذهب الله
بهم ويورث الارض قوما اخرين فان الله غيور على دينه غيور على
العدل منتقم من الضالين وانا لله وانا اليه راجعون .

اللورد نورثبروك حاكم مصر الجديد

كثيراً ما اتينا في جريدتنا على بيان مسالك الانكليز في تملك الهند وتذليلهم لاهاليه . وذكرنا ان سيرة الحكومة الانكليزية في افتتاح البلاد لاتشابه سير الفاتحين الذين يزحفون بخيلهم ورجلهم على الاقطار فيقتلون ويقتلون حتى يتغلبوا على من يريدون . وقلنا ان الانكليز ملكوا نحو ثلث العالم بلا سفك دماء غزيرة ولا صرف اموال وافرة وانما ملكوا ما ملكوا بسلاح الحيلة . يدخلون في كل بلد اسودا ضارية في جلود ضان ثاغية . يعرضون انفسهم في صورة خدمة صادقين وامنة ناصحين طالبين للراحة مقومين للنظام . نادينا مراراً بان الانكليز اذا ارادوا التدخل في ملك للشرقيين ورأوا ان القائم به رجل حاذق بصير وان وجوده في الملك يطي سيرهم الى ما يقصدون بادروا الى التشويش عليه فاما ان يفسدوا عليه قلوب رعيته ويثيروا عليه احقادها او يغروا احد اعضاء العائلة المالكة بالعصيان وطلب الملك ليجدوا في ذلك وسيلة للدخول في الامر او يتفقوا مع الوزراء على خلع صاحب السلطة ثم ينصبون بدله اما ضعيفا احمق واما صبييا لم يبلغ الرشد اما من ابناء الممالك او اقرار به ليمكنوا من بلوغ مقاصدهم تحت علمه ويلغوا غاياتهم باسمه ويقطعوا المسافة الطويلة في مدة قصيرة بلا ممانع ولا عائق مع اصابتهم جزيل الاجر على ما عملوا في بداية العمل .

هذا كما فعلوا من مدة غير بعيدة « راجا برودا » خلعه بدعوى باطله لما احسوا فيه البصيرة والحزم واقاموا بدله ولدا صغيرا من عائلته ثم انتصبوا له اوصياء فوضعوا ايديهم على جميع خزائنه وتولوا ادارة ممالكه واستلموا قيادة عساكره ولم يبق له الا الاسم يذكر ولا يشكر كل هذا تحت راية العدالة والاصلاح وحفظ الراحة وتقرير النظام ولم يساقوا اليه الا بياعث المحبة والاخلاص « ولا يذكر هناك اسم التملك والاستيلاء » نعم ولم الحق في استبقاء اسم والسكوت عن اخر فان امراء الشرقيين لا يبالون بما دلت عليه الاسماء وانما يهمهم طنطنة الالفاظ وضخامة الالقاب . اذا سلب الامير الشرقي ملكه وماله وجرد من جميع حقوقه وبقي له لقبه ولواحق لقبه فهو في سكرة من لذة ما بقي له وفي ذهول عما سلب منه . هذه خلة عرفها الانكليز في كل امير شرقي فلم لا يقرن اعينهم بحفظ هذه الاسماء بعد ما جردت عن معانيها واي داع يدعو رجال الانكليز لزعاج قلوب الامراء بنزع هذه الالقاب ان اللقب الضخم حصن حصين يسجن فيه الامير الشرقي اوجب عميق يلتقي فيه وهو يظنه جنة عرضها السموات والارض فايغش امراء المشرق متمتعين بنعيم القابهم وسعادة اسمائهم ويكفهم من المجد ان يقال لهم بين خدمهم وخاصتهم في داخل دوائرهم « نواب صاحب » « راجا صاحب » « خديوي صاحب » « سلطان صاحب » . « واجلتهاء » هذه الالقاب كانت تشير الى ملك فسيح ومجد شامخ وشوكة قوية وسطورة تخضع لها

الشم العوالي فكيف طابت نفوس امراء المشرق بقبولها عارية من كل شرف لم يبت من . معناها الا سلطة على الخدم والحشم وما هم فيها باحرار بل لا بد ان يوافقوا فيها رضاء الاجانب .

من ادق رجال الحكومة الانكليزية في فن الحيلة وامهرهم في صناعة الخدعة واطولهم باعاً في النفاق واحذقهم في اختراع الوسائل لسلب الاملاك من اربابها واشهرهم في عداوة المسلمين ذلك اللورد المحتوم (نور ثبروك) * كان هذا الرجل البارح حاكماً في الهند فاذاق اعاليه مر المذاب في كؤس المحبة والوداد . كم خرب بيوتاً وقلب عروشاً ولم خفض ربيعاً واذل عزيزاً وهو في جميع سيئاته يبكي بكاء الشفقة ويسكب دموع المرحمة على الهنديين ويقول انني اول انكليزي تهمة رفاهة اهل الهند وانني وحيد بين الانكليز بمحبة الهنود والسعي فيما يعود عليهم بالصلاح والنجاح وانني استغفر الله ان كنت قصرت في عمل يؤول بهم الى الفلاح وينادي في الهنديين بقوله واسفاه انكم الى اليوم ما عرفتموني ولا احطتم بما حواه ضميري من ارادة الخير لكم هذا هو الكاهن الحاذق في وعظه « ودونه في النفاق عبد الله بن ابي سلول راس المناققين في الاسلام » .

ان الحكومة الانكليزية عرفت قدره في براعته ومعرفته بوجوه المكر وخبرته باحوال الامراء الشرقيين وسعة علمه بكيفيات التصرف في عقولهم واهوئهم وطرق اخذهم من حيث لا يشعرون واعترفت له

حكومته بصدق الطوية في معاداة المسلمين . لاجل هذا قررت ان تبعثه على مصر وعزمت على ارساله اليها مفوضاً من قبلها يفعل مايشاء ولكن لانظن حالته الخداعية تصرع فطانة المصريين وتأخذ عقولهم . فان تسنى له نجاح ورضى المصريون على انفسهم عار الذل ووصمة الضيم فلا يكون الا باستعمال توفيق باشا آلة في جميع اعماله يستخدمه لادخال مصر في ملك الحكومة الانكليزية . يلقنه الاوامر السامية ويلهمه الارادات السنية لتذليل اهل بلاده وسوق المصريين لقتل اخوانهم وفتح البلاد الثائرة وقرار السلطة فيها للحكومة الانكليزية فان تم له مايريد من تسكين الفتن وتقريب المصريين للرضاء بحكومة تنفر منها طباعهم عمد الى خلع توفيق باشا باية علة وطلب تولية ابنه عباس لكونه ولداً صغيراً لم يبلغ الحلم واستند في ذلك الى الفرمانات السلطانية «يحترمونها اذا وافقت اغراضهم» وجعل نوبار باشا ديوانه «الديوان وزير يعينه الانكليز من طرفهم في الممالك التي تبقى في الهند تحت اسماء الامراء الذين لايعرف فيهم الرشد ولا يجوز عزله الا بامر من الحكومة الانكليزية» . نوبار باشا لايقصر في هذا العمل ولا يالو جهدا في ابلاغه الى نهايته . نوبار باشا رجل لاهو مسلم فيغار على دينه ولا هو مصري فيحتمي على لوطنه ولا هو عربي فتأخذه الغرة على جنسه وبهذا الطريق ينال سلطة في القطر المصري مدة لاتنقص عن الباقي من عمره ويكون في امان من العزل تحت ظل الحكومة الانكليزية .

هذه مقاصده التي بلغتنا من مصدر يوثق به ولا نظنه ينجح فيها
فان صلاح الامر في مصر لا يقوم به الا من هو اعرف بجال المصريين
واقرب اليهم من « نور ثبروك » هذا اللورد يسلك في سيره على ماجرى
عليه في الهند انا نذكر طرفاً من اعماله عبرة للمعتبرين * (ان جيرت سنك)
كان راجا على ممالك (جنبه) الواقعة في جنب (غنبرسر) من طرف
(همايا) فلما مات هذا الملك تولى ابنه (سرسينك) وهو ولده من
الملكة ثم مات وتولى شقيقه (سوجت سنك) على طبق قانون الوثنيين
فلما ذهب اللورد (نور ثبروك) حاكماً في الهند قصد الى تنفيذ حكمه في
تلك المملكة واستملاك اراضيها حسب المألوف بين امثاله من رجال
حكومته فطلب من « سوجت سنك » ان يتنازل عن الملك لاختيه
« كوبال سنك » وكان وليداً من جارية ولا يجوز في قوانين
الوثنيين ان يتولى الملك ابنا الاماء مادام من ابناء الاحرار
حي فلما تمنع « سوجت سنك » من التنازل اعتماداً على قانون
بلاده انزل بحكم اللورد جبراً بعد ما ضربت زوجته التي كانت ملكة
تلك البلاد « لكونها زوجة الملك » ونهب جميع ما كان في بيت الملك من
الحزائن والتحف والجواهر الثمينة والمخلفات القديمة « انتيكات » التي
كانت يتوارثها الملوك من اجيال طويلة « فان عائلة الملك كانت من
قدماء العائلات الملوكية » ثم نصب بدله « كوبال سنك » وبعد مدة
قصيرة عزل « كوبال سنك » ونصب ولده الصغير « سيام سنك »

ليكون الامر والنهي حسا ومعنى بيد امرآء الانكليز وتحت تصرف الديوان الذي اقاموه من طرفهم . هذا نموذج لما يطول عده من اعمال اللورد نورثبروك في الهند .

ثم ان « سوجت سنك » المخلوع ظن ان نورثبروك وحده هو الظالم وانه لو رفع امره للحكومة العليا في لوندرا يجد لديها عدلاً ويصادف منها انصافاً فجاء من مدة ست سنوات وعرض حاله على الحكومة العادلة فاذا القلوب متشابهة والنفوس متوافقة والاراء متألّبه على سلب الحقوق والغلو في العدوان . وفي خلال هذه المدة انفق كل ما كان عنده في المطالبة بحقه والمرافعة مع ظالمه حتى اصبح صفر اليدين لا يملك قوت يومه ولا يجد له منصفاً هذا الملك السيء الحظ مع ما كان له من رفعة الشأن وارتفاع نسبه في الملك الى اجدازه الاقدمين من نحو الف سنة نراه الان يتضور من الجوع في بلاد اور بارث الثياب حقيراً ذليلاً * هذا الذي احترمه اللورد نورثبروك * هذا هو اللورد نورثبروك الذي تريد حكومة انكلترا ان ترمي به مصر * وهذا هو الاصلاح الذي يقصد اجراؤه فيها * لكن رجاءنا في المسلمين واملنا في المصريين وقوة ايماننا بوعود الله وصدق النبأ عما تكنه الحوادث المصرية وتالب الدول على معاكسة الحكومة الانكليزية واضطرار الدولة العثمانية للدفاع عن مصر كل هذا يبشرنا بخيبة هذا الغادر في قصده والله لا يهدي كيد الخائنين

اذا اراد الله بقوم خيراً جمع كلمتهم

سرنا من الجرائد الفارسية صدقها في خدمة اوطانها واعتدالها في مشاربها وزادنا مسرة اهتمامها بترجمة بعض الفصول المهمة من جريدتنا ونقلها الى اللسان العذب الفارسي مما نظن فيه تنبيهاً لافكار المسلمين واستلفاتاً لعقولهم الى ما فيه خيرهم فلها منا ومن كل مخلص في محبة ملته اوفر الشكر خصوصاً جريدة (اطلاع) التي تطبع في مدينة طهران . وهذا المنهج القويم مما نعمل به الفائدة في جميع الاقطار الاسلامية فان جميعها بعد بلاد العرب وان اختلفت السنة سكانها باختلاف شعوبهم الا انهم ينطقون باللغة الفارسية فهي في الشرق كاللسان الفرنسي في الغرب وكان بودنا ان يعزوا افكارنا بما تجود به قرائحهم السليمة واذهانهم الصافية وترشدهم اليه عقولهم العالية . خصوصاً فيما يتعلق بالدعاء للوحدة الاسلامية واحياء الرابطة المليية بين المسلمين . لاسيما في الاتفاق بين الايرانيين والافغانين . هاتان طائفتان هما فرعان لشجرة واحدة وشعبتان ترجعان لاصل واحد هو الاصل الفارسي القديم وقد زادهما ارتباطاً اجتماعهما في الديانة الحقبة الاسلامية ولا يوجد بينهما الا نوع من الاختلاف الجزئي لا يدعو الى شق العصا وتمزيق نسيج الاتحاد وليس بسائع عند العقول السليمة ان يكون مثل

هذا التغاير الخفيف سبباً في تحالف عنيف .

ليس بعيد على هم الإيرانيين وعلو افكارهم ان يكونوا اول
القائمين بتجديد الوحدة الاسلامية وتقوية الصلات الدينية كما قاموا
في بداية الاسلام بنشر علومه وحفظ احكامه وكشف اسراره وما
قصوروا في خدمة الشرع الشريف باية وسيلة * نعم البخاري ومسلم
والنيسابوري والنسائي والترمذي وابن ماجه وابوداود والبغوي
وابوجعفر البلخي والكليني وغيرهم من انبتهم اراضي ايران * ابوبكر
الرازي الطبيب الشهير والامام فخر الدين الرازي من نشأوا في طهران .
ابوحامد الغزالي حجة الاسلام وابواسحق الاسفرايني والبيضاوي
وخواجه نصير الدين الطوسي والابهرى وعضد الملة والدين وغيرهم من
علماء الكلام والاصول ممن تفتخر بهم بلاد فارس وهو فخار للمسلمين .
الفيلسوف الشهير ابو علي بن سينا وشهاب الدين المقتول ومن على
شاكرتهم ممن جبلوا من تراب فارس * ان اهل فارس كانوا من اول
القائمين بخدمة اللسان العربي وضبط اصوله وتأسيس فنونه منهم سيويه
وابو علي الفارسي والرضي ومنهم عبد القاهر الجرجاني مؤسس علوم
البلاغة قليان اعجاز القرآن وفهم دقائقه على قدر الطاقة البشرية وصاحب
صحاح الجوهرى من احدى قراهم ومجد الدين الفيروزابادي من احدى
بلدانهم . الزمخشري والسكاكي وابو الفرج الاصفهاني وبديع الزمان
الحمداني وغيرهم ممن بينوا دقائق القرآن وشيدوا معالم الدين كلهم من

ارض فارس . الطبري اول المؤرخين والاصطخري والقزويني
 اول الجغرافيين كانوا من بلاد فارس . الشبلي كان من نهاوند
 وابويزيد البسطامي كان من بسطام والاستاذ الهروي وهو الاستاذ
 الحقيقي للشيخ محيي الدين بن العربي كان من هراة وكلها بلاد ايران *
 هل ينسى صدر الشريعة وفخر الاسلام البزدوي والامدي والمريغيناني
 والسرخسي والسعد التفتازاني والسيد الشريف والايوردي وكلهم
 من ابناء فارس * من اين كان القطب الشيرازي والصدر الشيرازي
 ورأس الحكمة في المتأخرين ميرباقر الدامادومير فندر كسي وغيرهم .
 كانوا من بلاد فارس ؟ اي فضل كان ولم يكن لهم فيه اليد الطولى اي
 مزية من الله بها على الاسلام ولم يكونوا من السابقين لاقتنائها نعم
 وفيهم جاء من قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كان العلم في الثريا
 لناله رجال من فارس .

فيا ايها الفارسيون تذكروا اياديكم في العلم وانظروا الى اثاركم في
 الاسلام وكونوا للوحدة الدينية دعامة كما كنتم للنشأة الاسلامية
 وقايه . انتم بما سبق لكم احق الناس بالسعي في استرجاع ما كان لكم
 في فتوة الاسلام انتم اجدد المسلمين بوضع اساس للوحدة الاسلامية
 وما ذلك ببعيد على طيب عناصركم وقوة عزائمكم * اظن لا يخفى عليكم
 ان هذا الوقت هو احسن الاوقات لندائكم بالوحدة مع الافغانيين والتحالف
 معهم على مقاومة العادين لتكونوا بالاتحاد معهم حصناً حصيناً وحرزاً

منيعاً نقف دونه اقدام الطامعين * اظنكم لم تنسوا ان استيلاء الانكليز على الممالك الهندية انما تم بوقوع الخلاف بينكم وبين الافغانين * هل يخفى عليكم ان كل مسلم في الهند شاخص بصره الى طرف بنجاب ينتظر قدومكم اذا اتحدتم مع اخوانكم الافغانين . حصلت لكم تجارب كثيرة وشهدتم من مظاهر الحوادث ما فيه اكل عبرة فهل يصح بعد هذا ان تستمروا على التجاني والتباعد مع علمكم ان الوحدة منبت الشوكة . هذا ان التآخي والتوافق هذه اوقات التحالف والتوافق . احاط الاعداء ببلادكم شرقاً وغرباً وكل يتخذ سفيه ويسدد سهمه حتى تمككه الفرصة من شن الغارة على اطراف بلادكم . فلو ضاعت الفرصة في هذا الوقت فربما لاتصاء فوها في غيره . الانكليز في ارتباك شديد في المسئلة المصرية مع ضعفهم في القوة العسكرية ومتورطون باختلاف الدول عليهم ومعاساتها لمقاصدهم . الامير عبدالرحمن خان امير افغانستان على مانعه من اول شبويته اشد الناس عداوة للانكليز وبينه وبينهم حزازات لاتزول بل نقول ان عداوة الانكليز سارية في عروق الافغانين عموماً ممتزجة بدمائهم . فلو حصل الاتفاق الآن بين سلطنة الشاه وبين امارة الافغان لوجدت قوة اسلامية جديدة في المشرق بين سائر الطوائف الاسلامية وينبعث فيهم وفي سائر المسلمين حياة جديدة وتجدد لهم آمال جليلة وتنتعش بذلك ارواح المؤمنين . هذا وقت انتهت فيه افكار الافغانين الى اعمال جيرانهم في المسئلة المصرية وتحركت فيهم

السواكن وهي اعظم فرصة لاهل فارس في دعوتهم للاتحاد معهم
 هذا عمل من اجل الاعمال واجزئها فائدة وان من اكبر الفضل
 ان يقوم اهل الفضل من اهالي ايران بتحرير الفصول ونشر الرسائل
 في بيان فوائد الاتفاق بين الطائفتين وان لذلك لاثراً عظيماً في النفوس
 خصوصاً ان كانت من اقلام العلماء الاعلام والمجاهدين الكرام * العالم
 الانساني عالم الفكر والكلام فاحكام الفكر الصالح ونشره في الكتب
 والرسائل والجرائد مما يؤثر اجمال الاثر في تهذيب الناس وثقافت عقولهم
 وازالة الضغائن المفسدة لمعاشهم ومعادهم فاذا قام المستبصرون وخطبوا
 ووعظوا وكتبوا ونشروا مع الوقوف عند الحدود الدينية والاصول
 الشرعية كان فضل الله كافلاً لهم النجاح * اي فرق بين الافغانين
 واخوانهم الايرانيين * كل يومن بالله وبما جاء به محمد صلى الله عليه
 وسلم . عبد الرحمن خان بما اكسبته التجارب اول من يتقدم لهذا الاتفاق
 ولا نشك ان شاه ايران لما اطلع عليه في سياحاته وشاهدته في اسفاره
 لا يابى المبادرة اليه والسعي فيه . ان البادي بالعمل في هذا المقصد
 الاسمي هو صاحب الفضل الاعظم بين المسلمين خصوصاً وبين العالم
 عموماً ويمجني ثمرته في وقت قريب * كان الالمانيون يختلفون في
 الدين المسيحي على نحو ما يختلف الايرانيون مع الافغانين في مذاهب
 الديانة الاسلامية فلما كان لهذا الاختلاف الفرعي اثر في الوحدة
 السياسية ظهر الضعف في الامة الالمانية وكثرت عليها عادات جيرانها